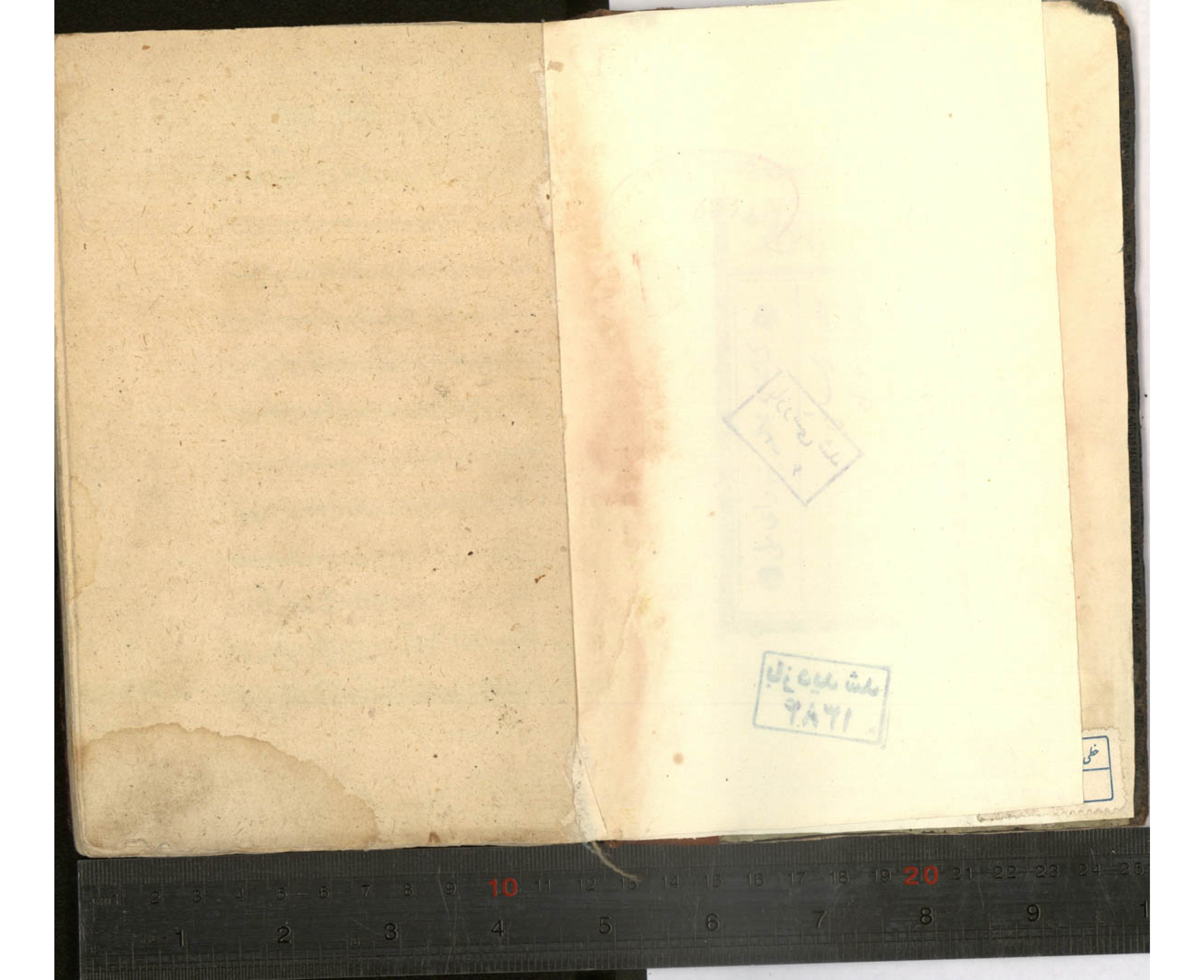

۹۸۶۱

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ الامام حجة الاسلام مقتدى الفرق مفتى الامة محمد
بن محمد الغزالى رحمه الله عن قوله تعالى فَاِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِنْ رُوحِي فقيل ما التسوية وما النفخ وما الروح فقال التسوية
هى فعل فى المحل القابل للروح وهى الطين فى حق آدم عليه السلم والنطفة فى
حق الاولاد بالتصفية وتعديل المزاج فانه كما لا تقبل النار ما هو يابس
محض كالتراب والحجر ولا ما هو رطب محض كالماء بل تتعلق النار بكل مركب
ولا كل مركب فان الطين مركب ومع هذا لا تشتعل فيه النار بل لا بد من
بعد تركيب الطين الكثيف من تردد فى اطوار الخلقة حتى تصير نباتا لطيفا
فتتشبث به النار كذلك الطين فى حق آدم عليه السلم لما انشاه الله خلقا
بعد خلق فى اطوار متعاقبة صار لطيفا مستقرا حتى يصير نباتا لطيفا فياكله

الادمى فيصير دما فينزع منه القوة المركبة فى كل حيوان صفوة الذى
هو اقرب الى الاعتدال فيصير نطفة فيقبلها الرحم ويمتزج بها منى المراة فتزداد
به اعتدالا ثم ينضجها الرحم بحرارته فيزداد تناسبا واعتدالا حتى ينتهى
فى الصفاء واستواء نسبة الاجزاء الى الغاية فيستعد لقبول الروح وامساكها
كالفتيلة التى تعد عند شرب الدهن لقبول النار وتمسكها فكذلك
النطفة اذا بلغت الى غاية الصفاء واعتدال تناسب الاجزاء تستحق
باستعدادها روحا يدبرها ويتصرف فيها فيفيض عليها الروح من جود الجواد
المطلق الواهب لكل مستحق ما يستحقه ولكل مستعد ما يستعد على قدر احتماله
واستحقاق قبوله من غير بخل ولا منع فالتسوية عبارة عن الافعال المرددة فى
الاطوار المتعاقبة لاصل النطفة الى صفة الاستواء والاعتدال لكن تستعد
لقبول الروح **فصل** فقيل ما النفخ فقال النفخ عبارة عن اشتعال نور
الروح فى فتيلة النطفة وللنفخ صورة ونتيجة فاما صورته فاخراج الهواء من جوف

فيقبلها در

يستعد بر

النافخ الجوف المنفوخ فيه حتى يشتعل الحطب القابل للنار فالنفخ هو سبب
الاشتعال فيه فاما صورة النفخ الذى هو سبب الاشتعال فى حق الله تعالى
محال والمسبب الذى هو نتيجة النفخ غير محال وقد يكنى بالسبب عن الفعل
المستفاد منه كقوله تعـ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وقوله فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ والغضب
عبارة عن نوع تغير يوجد فى الغضبان يتأذى به فى حال غضبه وهذا فى حق
البارى تبارك وتعالى محال لانه نتيجة الغضب بالغضب وعن نتيجة الانتقام با
الانتقام وكذلك يعبر عن نتيجة النفخ بالنفخ وان لم يكن على صورة النفخ فسبب ما
السبب الذى يشتعل به نور الروح فى فتيلة النطفة فقال هو صفة فى الفاعل
وصفة فى القابل فاما صفة الفاعل هو جود الالهى الذى هو ينبوع الوجود
وهو فياض بذاته على كل ماله قبول الوجود حقيقة وجودها ويعبر عن تلك
الصفة بالقدرة ومثالها فيضان نور الشمس على كل قابل للاستنارة عند ارتفاع
الحجاب بينهما والقابل للاستنارة انما هو الملونات دون الهواء الذى لا لون

ونحو الروح حال الغضب [illegible] والالم
من غير تغير [illegible]

له واما صفة القابل فهى الاستوا والاعتدال فى التسوية كما قال سويته
ومثال صفة القابل هو صقالة الحديد فان المرآة التى ستر الصدا وجهها
لا يقبل الصورة وان كانت محاذية للصورة فاذا الصيقل بصقلها فكما حصلت
الصقالة حدثت فيها الصورة من ذى الصورة المحاذية لها فكذلك النطفة
اذا صارت معتدلة فى التسوية حدثت فيها الروح من خالق الروح من
غير تغير فى الخالق كالصورة التى فاضت الى المرآة من ذى الصورة المحاذية
لها من غير تغير فى ذى الصورة ولكن كان لا يحصل من قبل لان الصورة ليست
مهياه لان تنطبع فى المرآة لكن لان المرآة لم يكن صقيلة قابلة وانما حدث
الروح فى النطفة الآن لا قبله لحصول الاستوا والاعتدال فى المحل الآن لا قبله
كما قلنا فى المرآة فقيل ما الفيض قال لا ينبغى ان نفهم من الفيض ما تفهمه من
فيض الماء من الاناء الى اليد فانه عبارة عن انفصال جزء مما فى الاناء و
اتصاله باليد بل افهم منه ما تفهمه من فيضان نور الشمس على الحائط وقل

غلط قوم في نور الشمس ايضا حتى ظنوا انه ينفصل جزء من شعاع الشمس و ويتصل بالحائط وينبسط عليه وهو خطأ بل نور الشمس هو سبب لحدوث شيء يناسبه في النورية وان كان اضعف منه في الحائط ليكون كنقصان الصورة من ذي الصورة على المرآة لا بمعنى انه انفصل جزء من الصورة واتصاله بالمرآة ~~لا بمعنى انه انفصال جزء من الصورة واتصاله بالمرآة~~ بل بمعنى ان صورة الانسان مثلا سبب لحدوث صورة مماثلها في المرآة بمحاكاة الصورة وليس فيها انفصال ولا اتصال الا بالسببية المجردة وكذلك جود الالهي سبب لحدوث نور الوجود في كل ماهية قابلة للوجود فيعبر عنه بالفيض

فصل فقيل له بعد ذكر التسوية والنفخ فما الروح وما حقيقته وهل هو حال في البدن حلول الماء في الاناء ام حلول العرض في الجوهر او جوهر قائم بنفسه فان كان جوهرا فهو متحيز ام غير متحيز فان كان متحيزا فما مكانه في البدن أهو القلب او الدماغ او موضع اخر وان لم يكن متحيزا فكيف يكون جوهر

غير

غير متحيز افقال هذا سؤال عن سر الروح الذي لم يؤذن للنبي في كشفه لمن ليس اهلا له فان كنت اهلا له فاستمع اعلم ان الروح ليس بجسم يحل في البدن حلول الماء في الاناء وليس بعرض يحل القلب والدماغ حلول السواد في الاسود وحلول العلم في العالم بل هو جوهر وليس بعرض لانه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات والعرض لا يتصف بهذه الصفات وليس بجسم فان الجسم قابل للانقسام والروح لا ينقسم فانه لو انقسم لجاز ان يقوم بجزء منه علم بالشيء وبالجزء الاخر جهل بذلك الشيء الواحد بعينه فيكون في حالة واحدة عالما بالشيء جاهلا به فيتناقض الجهل والعلم لشيء واحد فانم في شخص واحد في حالة واحدة من المستحيلات وفي حق شخصين غير محال فدل على انه واحد لا ينقسم وانه لا يتجزى باتفاق العلماء به اذ لفظ الجزء غير لائق به فان الجزء اضافة الى كله وليس هاهنا كل ولا جزء الا ان يراد به ما يريد القائل بقوله ان الواحد جزء من العشرة فاذا اخذت جميع الموجودات

او جميع ما به قوام الانسان في كونه انسانا كان الروح واحدا من جملتها فاذا فهمت
انه شيء لا ينقسم فلا يخلو اما ان يكون متحيزا او غير متحيز وباطل ان يكون
متحيزا لان كل متحيز منقسم والجزء الذي لا يتجزى باطل بادلة هندسية وعقلية
واقربها انه لو فرض جزء بين جوهرين ليلقى كل واحد من الطرفين من الوسط
غير ما يلاقي الاخر فيجوز ان يحل طرفه العلم بالشيء وبالآخر الجهل بذلك الشيء فيكون
في حالة واحدة عالما بشيء جاهلا به وكيف لا ولو فرض بسيط مسطح من اجزاء
ما لا يتجزى فالوجه الذي عاد سنا نراه والوجه الاخر لا نراه والشيء الواحد
لا يكون مرئيا وغير مرئي ولكانت اذا جازت احد وجهيه لا يستنار بها ذلك
الوجه دون الوجه الاخر فاذا ثبت انه لا ينقسم ولا يتحيز فقد ثبت انه
قائم بنفسه ولا يتحيز اصلا فقيل له فما حقيقة هذه الحقيقة وما صفة هذه
الجوهر وما وجه تعلقه بالبدن اهو داخل فيه ام خارج عنه ومتصل
به او منفصل عنه لان مصحح الاتصاف بالانفصال والاتصال الجسمية

فقال لا هو داخل فيه ولا خارج عنه ولا متصل به ولا منفصل عنه م

والتحيز

والتحيز وقد انتفى به ما انفك عن الضدين كالجماد لا هو عالم ولا جاهل لان
مصحح العلم والجهل الحياة فاذا انتفت انتفى الضدان فقيل له اهو في جهة ام في
غير جهة فقال هو منزه عن الحلول في المحال والاتصال بالاجسام والاختصاص
بالجهات فان كل ذلك صفة الاجسام واعراضها وليس هو جسم ولا عرض
في جسم بل هو مقدس عن هذه العوارض فقيل له لم منع رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم من افشاء السر وكشف حقيقة الروح فقال لان الافهام لا تحتمله لان الناس
قسمان عوام وخواص فاما من غلب على طبعه العامية لا يقبل ذلك ولا يصدقه
في حق صفة الباري سبحانه فكيف يقبله ذلك ولا يصدقه في حق صفة الباري
في حق الروح الانساني ولهذا انكرت الكرامية والحنبلية ذلك وزعموا ان
الاله جسم اذ لم يعقلوا موجودا الا جسما مشارا اليه ومن ترقى عن العامية
قليلا نفى الجسم ولكن ما اطاق ان ينفي عوارض الجسمية فاثبت الجهة ومن رقى
عن هذه العامية المعتزلة والاشعرية واثبتوا موجودا لا في جهة قيل له لا يجوز

كشف هذا السر عند هولاء القوم فالانهم احالوا ان يكون هذه الصفة لغير الله
فانك اذا ذكرت عندهم كفروك وقالوا انك تصف نفسك بما هو صفة الله
عز وجل على الخصوص كانك تدعي الالهية لنفسك فقيل لم احالوا ان يكون هذه
الصفة لله ولغير الله عز وجل ايضا فقال لانهم قالوا كما يستحيل في ذوات المكان ان
يجتمع اثنان في مكان واحد يستحيل ان يجتمع اثنان ايضا في لامكان لانه انما
يستحيل اجتماع جسمين في مكان واحد لانهما لو اجتمعا لم يتميز احدهما عن الاخر
فكذلك لو اجتمعا في لامكان لا يحصل التمييز والفرقان ولهذا قال البعض لا يجتمع
سوادان في محل واحد حتى قالوا المثلان يتضادان فقيل هذا اشكال قوي فما
جوابه فقال الجواب انهم اخطاوا حيث ظنوا ان التمييز بثلثة امور احدها بالمكان
كجسمين في مكانين والثاني بالزمان كسوادين في جوهر واحد في زمانين والثالث
بالحد والحقيقة كاعراض مختلفة في جسم واحد في وقت واحد كاللون والطعم و
الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فان المحل لها واحد والزمان واحد ولكن

ان التمييز لا يحصل الا بالمكان
او بالتمييز

ولكن هي مختلفة
صح

~~مختلفة في جسم واحد في وقت واحد كاللون والطعم والحرارة والبرودة و~~
~~اليبوسة فان المحل واحد~~ ولكن هذه معان مختلفة الذوات تميز الحرارة
من البرودة والرطوبة من اليبوسة واللون من الطعم بذاتها وحدها
وحقيقتها فاذا كان يتصور اعراض مختلفة الحقائق بذاتها في محل واحد فلان
يتصور اشيا مختلفة الحقائق بذاتها في غير محل مكان كان اولى فقيل له هذا دليل
اخر على ما ذكرتموه اظهر من طلب التفرقة فان ما ذكرتموه تشبيه واثبات
لاخص وصف الله تعالى في روح الانسان فقال هيهات لان قولنا الانسان
حي عالم سميع بصير قادر متكلم والباري تعالى كذلك ليس فيه تشبيه لانه ليس
ذلك اخص وصف الاله وكذلك التبرء من الجهة والمكان اذ ليس هذا اخص
وصف الاله بل اخص وصف الاله سبحانه وتعالى القيومية اعني انه قايم بنفسه
وكل ما سواه قايم به وانه موجود بذاته لا بغيره ولا وكل ما سواه موجود
به لا بذاته بل ليس للاشيا من ذواتها الا العدم وانما لها الوجود من غيرها

على سبيل العارية ووجود المطلق لله سبحانه وتعالى ذاتي غير مستعاد فهذا
اخص وصف الالهية اعني القيومية وهذا الوصف لا يكون الا لله تعالى
فصل قيل له قد ذكرت معنى التسوية والنفخ والروح وما ذكرت
معنى النسبة اليه ولم نسب الى نفسه وقال نفخت فيه من روحي فان
كان معناه ان وجوده به لكان وجود جميع الاشياء كذلك ولقد نسب
البشر الى الطين وقال اني خالق بشرا من طين ثم قال فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي وان كان معناه انه جزء من ذات الباري سبحانه
افاض على القلب كما يفيض المعطي المال على السائل ويقول افضت عليك
من مالي فهذه الجزئية من ذات الباري وقد ابطلتم هذا حيث ذكرتم
ان افاضته ليس بمعنى انفصال الجزء قال لو طلعت الشمس وقال افضت
على الارض من نوري لكانت صادقة فيكون النسبة بمعنى ان النور الحاصل
من جنس نور الشمس بوجه من الوجوه وان كانت في غاية الضعف بالاضافة
و

والنسبة اليه وقد عرفت حكم الروح قبل هذا بالتنزيه والتقديس من
العوارض والجهات والمكان ومن قوته العلم بجميع الاشياء والاحاطة
بها فهذه مضاهات ومناسبة فلذلك خصص بالاضافة وهذه
المضاهات ليست للجسميات اصلا فصل فقيل له ما معنى قوله
تبارك وتعالى قل الروح من امر ربي ما معنى عالم الامر وعالم الخلق فقال
كل ما يقع عليه التقدير والمساحة وهي الاجسام وعوارضها فهو من عالم الخلق
والخلق هاهنا بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد والاحداث يقال خلق الشيء قدره
وقال الشاعر ولانت تفري ما خلقت وبعض الناس يخلق لا يفري وما لا
كمية له ولا مقدار يقال انه امر رباني للمضاهات التي ذكرناها فكل ما هو من هذا
الجنس من ارواح البشر والملائكة فهو من عالم الامر فعالم الامر عبارة عن الموجودات
الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز وهو ما لا يدخل تحت التقدير والمساحة
لانتفاء الكمية عنه فصل فقيل له اتوهم ان روح الانسان ليس مخلوق

وان لم يكن مخلوقا فهو قديم فقال فقد توهم هذا جماعة وهو جهل بل نقول انه ليس
بمخلوق بمعنى انه ليس بمقدار وكمية فانه لا ينقسم ولا يتجزى ولكنه مخلوق بمعنى
انه حادث وليس بقديم وبرهان حدوثه طويل ومقدماته كثيرة والحق ان
الارواح البشرية حدثت عند استعداد النطفة للقبول كتحريك الاصبع بتحريك
الارادة مع قطعه ان الارادة ليست فيه فلا اصبع يتحرك بما ليس فيه فكذلك
النفس وان لم يكن في الجسد فالجسد مسخر لها فهذا التسخير يجوز في العقل ان
يحدث ويزول ويعود ولا يستحيل شيء من هذا في العقل ويكون لحدوثه وزواله
وعوده اسباب ملكية وفلكية ونفسية لا يحيط قوة البشرية عليه فعلى هذا الوجه
وجب التصديق بما جاء من الاعادة والتفريق **فصل** الايمان
بالميزان واجب كانه لما ثبت قوام النفس بجوهرها واستغنائها بذاتها
عن الجسد فالنفس بذاتها متهيئة لان ينكشف لها حقائق الامور وتعلقها
بالبدن كالحجاب الحاجز عن درك حقائق الامور وبعد الموت ينكشف الغطا

ويتجلى حقائق الامور لها ولذلك يقال لها فكشفنا عنك غطائك فبصرك
اليوم حديد ومما ينكشف لها تاثير عملها بقربها من الله وابعادها وتفاوت
تلك الاثار بعضها اشد تاثيرا من البعض وفي قدرة الله ان يجري بسبب معرفة
الخلق في لحظة واحدة تاثير الاعمال بمقادير الاثار بالاضافة الى التقريب و
الابعاد فحد الميزان ما يتميز به الزيادة من النقصان ومثاله في عالم المحسوس
مختلف فمنه الميزان المعروف ومنه القبان للاثقال ومنه الاصطرلاب
لمقادير حركات الافلاك والاوقات ومنه المسطر لمقادير الخطوط ومنه
العروض لمقادير حركات الاصوات فالميزان الحقيقي اذا مثله الله تعالى للحواس
يحتمل ان يكون من هذه الامثلة ويحتمل ان يكون من غيره فان حد الميزان
وحقيقته موجودة في هذه الجملة وهو ما يعرف به الزيادة من النقصان فيكون
صورته موجودة في الحس عند التشكيك والخيال عند التمثيل والله اعلم بما قدره
من تشكيك حسي او تمثيل خيالي والقدرة واسعة والايمان بالجملة واجب

تمثيل ٢ د

فصل في الحساب الايمان بالحساب واجب فانه عبارة عن جميع
متفرقات الاعمال وتعرف مبلغها وما من انسان الا وله اعمال متفرقة ضارة
ونافعة ومقربة ومبعدة لا يعرف قدر كلها ولا يحصر احاد مبلغها وجميع متفرقاتها
كان ذلك حسابا وفي قدرة الله تعالى ان يكشف في لحظة واحدة للعالمين متفرقات
اعمالهم ومبلغ احادها فهو اسرع الحاسبين قطعا فصل الايمان بالشفاعة
واجب فانها عبارة عن نور يشرق من الحضرة الالهية على جوهر النبوة وينتشر
منه على كل جوهر استحكم مناسبته مع جوهر النبوة بشدة المحبة وكثرة المواظبة على
السنن وكثرة الذكر له بالصلوة عليه ومثال ذلك نور الشمس اذا وقع على الماء فانه
ينعكس منه الى موضع مخصوص من الحائط لا الى جميع المواضع وذلك بمناسبة
بينه وبين الماء في الموضع وتلك المناسبة منفية عن ساير اجزاء الحائط وذلك
هو الموضع الذي اخرج منه خط الى موقع النور من الماء حصلت زاوية تلي
الارض مساوية للزاوية الحاصلة من الخط الخارج من الماء الى قرص الشمس بحيث

لا يكون

لا يكون اوسع منهما ولا اضيق ولا يمكن ذلك الا في موضع مخصوص من الجدار
فكما ان المناسبات الوضعية تقتضي اختصاصا بانعكاس النور فكذلك
المناسبات المعنوية العقلية تقتضي ذلك في الجواهر المعنوية فمن استولى
عليه التوحيد فقد تأكدت المناسبة مع الحضرة الالهية يشرق عليه النور من
الحضرة الالهية من غير واسطة ومن استولى عليه اقتداء الرسول ومحبة اتباعه
وترسخ قدمه في ملاحظة الوحدانية لم يستحكم مناسبته مع حضرة الالهية
الا مع الواسطة فافتقر الى واسطة في اقتباس النور كالجدار الذي
ليس مكشوفا للشمس يحتاج الى اقتباس النور من الماء المكشوف للشمس والى
هذا يرجع معنى الشفاعة في الدنيا فالوزير المتمكن من قلب الملك المخصوص
بالعناية ينقضي عن جرائم اصحابه لا لمناسبة بينهم وبين الملك لانهم يناسبون
الوزير المناسب الملك ففاضت العناية عليهم لا لانفسهم بل لمناسبة
الوزير ولو ارتفع الوزير لم يشملهم العناية اصلا وكان الملك لا يعرف

اصحاب الوزير واختصاصهم به الا بتعريف الوزير واظهار الرغبة في العفو
عنهم فيسمى لفظ التعريف واظهار الرغبة شفاعة على سبيل المجاز ولان للشفيع
مكانة عند الملك فالباري سبحانه مستغن عن التعريف ولو كان الملك
يعرف حقيقة اختصاص غلام الوزير لاستغنى عن التعريف ويحصل له الغنا.
شفاعة لا نطق فيها ولا كلام والله اعلم به ولو اذن الله عز وجل الانبيا
عليهم السلام بالتلفظ بما هو معلوم لله تعالى لكانت الفاظهم الفاظ الشفاعة
ولو اراد الله عز وجل ان ينزل حقيقة الشفاعة مثالا يدخل فيه الحس والخيال
ولم يكن ذلك بالفاظ مالوفة للشفاعة فيشبه بذلك بانعكاس النور
من المرايا بطريق المناسبة ان الاخبار الواردة على استحقاق الشفاعة متعلق
بما يتعلق بالرسول من صلوة عليه او زيارة لقبره او اصابة المؤذن بالدعاء
له عقيبه او الى غير ذلك مما يحكم علاقة المحبة والمناسبة منه **فصل**
الصراط حق وما يقال في وصفه انه مثل دق الشعر ودقة كالا مناسبة

بين دقة خط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس اذ لا من الظل ولا من
الشمس وبين الشعر فدقة الصراط مثل خط الهندسي الذي لا عرض له اصلا لانه
مثل الصراط المستقيم وهو في الدقة مثل خط الهندسي والصراط المستقيم هو عبارة
عن الوسط الحقيقي بين الاخلاق المتضادة كالسخاء بين التبذير و
البخل والشجاعة بين التهور والجبن والعفاف بين الشهود والجمود و
الاقتصاد بين العسر اذ هذه الاخلاق المتضادة لها طرفان طرف
افراط وتفريط وهما مذمومان وبين الافراط والتفريط وسط حقيقي هو غاية
البعد عن الطرفين وهو المركز كانه ليس من طرف الزيادة ولا من طرف
الزيادة ولا من طرف النقصان كخط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس
فانه لا من الظل ولا من الشمس فهو ادق من الشعر وهذا وهو ان كمال
الانسان في مشابهة الملائكة وهم منفكون عن هذه الاخلاق المتضادة
وليس في امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية فيكلف بقدر ما يشابه الانفكاك كذا

وان لم يكن حقيقة الانفكاك وهو الوسط الحق بين الطرفين الذي لا ميل له
الى احد الجانبين وهو ادق من الشعر والذي يبلغ غاية البعد من الطرفين
يكون على الوسط ولو فرضنا حلقة حديد محماة بالنار ووقفت نملة فيها وهي
ينفر بطبعها من الحرارة فلا يموت الا على المركز لانه الوسط الذي هو غاية
البعد من المحيط المحرق فتلك النقطة لا عرض لها فاذا الصراط هو الوسط
بين الطرفين ولا عرض فهو ادق من الشعر ولذلك خرج عن القدرة البشرية
الوقوف عليه فوجب على كل شخص ان يكون واردا على النار ورودا ما
بقدر ميله كما قال عز وجل وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا وقال تع
وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ
فان العدل بين المراتين في المحبة والوقوف على درجة متوسطة ولا ميل
فيه الى احديهما كيف يدخل ذلك تحت الامكان فاذا فهمت هذا فاذا
مثل الله تع لعباده في القيامة هذا الصراط المستقيم الذي يطالب كل امرء

با

بالاستقامة عليه بمثل ما هو مثل الخط الهندسي الذي لا عرض له فمن استقام
في هذا العالم على الصراط المستقيم مر مستويا على ذلك الصراط المستقيم ولم يمل الى
احد الجانبين لانه في هذا العالم عود نفسه التحفظ عن الميل فصار ذلك طبعا
له فان العادة طبيعة ثانية فمر على الصراط مستويا فهذا حق قطعا كما ورد الشرع به

فصل اللذات الموعودة المحسوسة في الجنة من ماكول ومنكوح وملبوس
ومشموم يجب التصديق بها لامكانها ولنعتقد لامكانها على ثلثة اوجه حسي
وعقلي وخيالي اما الحسي فلا يخفى معناه وامكانه لامكانه في هذا العالم فانه بعد
رد الروح الى الجسد وقيام البرهان على امكانه يجعل ذلك في حيز الامكان
ولا يمنع من هذا ان بعض هذه اللذات ليست مستعظمة ولا مرغوبا فيها
رغبة بالغة كاللبن والاستبرق والطلح المنضود فان ذلك قد خوطب به
جماعة يستدر رغبتهم فيها وفي الجنة ما يشتهيه كل واحد وهذا مما يشتهيه
قوم بشهوة لذيذة والذين لا يشتهون ولا يستلذون يعلم لذتهم بخلق الشهوة

فيهم فان اللذة بحسب الشوق والناس كلهم يشتهون الا من شاء الله لا يصدق
بالمهم بلذة النظر الى وجه الله تعالى وان اقروا به ظاهرا لانهم اذا انفكوا عن المعرفة
انفكوا عن الشوق فانفكوا عن ادراك اللذة ولكن الله تعالى يقوى شهوتهم ومحبتهم
ومعرفتهم حتى يعظم لذة الروية عندهم فى الدار الاخرة **فصل**
واما الخيالى فلا يخفى امكانه ولذته كما فى النوم الا ان اللذة الحاصلة فى
النوم مستحقرة لانقطاعها على قرب فلو كانت دايمة لم يظهر فرق بين
الخيالى والحسى الا من حيث وجودها من خارج فلو وجد من خارج ولم
يوجد فى حسه بالانطباع فلا لذة ولو بقى المنطبع فى الحس وعدم
الخارج لدامت اللذة والقوة المخيلة قادرة على اختراع الصورة فى هذا
العالم الا ان صورتها المخترعة متخيلة وليست محسوسة ولا منطبعة فى القوة
الباصرة ولذلك لو اخترع الصورة الجميلة فى غاية الجمال وتوهم حضورها
ومشاهدتها لم يعظم لذته لانه ليس يصير مبصرا كما كان فى النوم فلو كان
للخيال

للخيال قوة على تصويرها فى القوة الباصرة كما له قوة على تصويرها فى القوة المتخيلة
لعظمت اللذة فنزلت منزلة الصورة الموجودة من خارج وان يفارق الاخرة
الدنيا فى هذا الا من حيث كمال القدرة على تصوير الصور فى القوة الباصرة
فكل ما يشتهيه فيحضر عنده فى الحال فيكون شهوته سبب تخيله وتخيله سبب
ابصاره اى سبب انطباعه فى القوة الباصرة فلا يخطر بالشى ميلا اليه الا
ويوجد فى الحال اى يوجد له بحيث يراه واليه اشار بقوله عليه السلام ان فى
الجنة سوقا يباع فيها الصورة والسوق عبارة عن لطف البارى الذى
هو منبع القدرة على اختراع الصور بحسب المشية وانطباع القوة الباصرة
انطباعا ثابتا الى دوام المشية لا انطباعا هو يتعرض الزوال كما فى النوم فى
هذا العالم وهل ما القدرة اوسع واكمل من القدرة على الايجاد خارج الحس
لان الوجود خارج الحس لا يوجد فى مكانين واذا صار مشغولا باستماع
واحد ومشاهدة واحدة وما اشبهه صار مستغرقا به محجوبا عن غيره واما

هذا فيتسع اتساعا لا مضيق فيه ولا منع حتى لو اشتهى مشاهدة الآف
شخص في الآف مكان في حالة واحدة لشاهدها كما خطرها له في الامكنة
المختلفة واما الابصار الحاصل من تخيل الشيء الموجود من خارج الحس لا يكون
الا في مكان واحد وحمل امر اللذة على هذا اوسع واولى بالشهوات واوفق
لها ولا يسقط عن رتبتها في الجود واختصاص وجودها بالحس وانتفاء
وجودها من خارج لان وجودها من خارج مراد لاجله وحظه من وجوده
وجوده في حسه فاذا وجد فقد توفر حظه والباقي فضل لا حاجة اليه وا
انما يراد لانه طريق الى المقصود وقد تعين كونه طريقا في هذا العالم الضيق
القاصر اما في ذلك العالم فيتسع الطريق ولا يتعين هذا الطريق فصل
واما الوجود الثالث من امكانه وهو الوجود العقلي ان يكون حد المحسوسات
امثلة للذات عقلية ليست محسوسة لكن العقليات تنقسم الى انواع
كثيرة مختلفة اللذات فيكون الحسيات امثلة لها ولكل واحد يكون مثالا

للذة

للذة اخرى مما رتبته في العقليات يوازي رتبة المثال في الحسيات فانه
لو راى في المنام الخضرة والماء الجاري والوجه الحسن والانهار المنوطة باللبن
والعسل والخمر والاشجار المزينة بالجواهر واليواقيت واللآلي والقصور
المبنية من الذهب والفضة والاسورة المرصعة بالجواهر والغلمان
القائمين بين يديه للخدمة لكان المعبر يعبر ذلك بالسرور ولا يحمله على نوع
واحد بل يدل كل واحد على نوع اخر من السرور وقرة العين يرجع بعضه الى السرور
بالعلم وكشف العلوم وبعضه الى سرور المملكة ونفاذ الامر وبعضه الى قهر
الاعداء وبعضه الى مشاهدة الاصدقاء وهي وان شملها اسم السرور واللذة
فهي مختلفة المراتب مختلفة الذوق لكل واحد مذاق يفارق الاخر فكذلك
اللذات العقلية ينبغي ان تفهم كذلك وان كان مما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر فجميع هذه الاقسام ممكنة فيجوز ان يجمع بين
الكل لواحد ويجوز ان يكون نصيب كل واحد من ذلك بقدر استعداده

فالمشعوف بالتقليد والجمود على الصورة التي لم ينفتح له طرق الحقائق
كما يمثل له هذه الصورة والعارفون المستبصرون بعالم الصور واللذات
المحسوسة ينفتح له من لطائف السرور واللذات العقلية ما يليق بهم
وينبغي سرهم وشهوتهم اذ حد الجنة ان فيها لكل امرئ ما يشتهيه فاذا
اختلفت الشهوات لم يبعد ان تختلف اللذات والقدرة واسعة وقدرة
البشرية عن الاحاطة بعجائب القدرة قاصرة والرحمة الالهية التي لقيت
بواسطة النبوة الى كافة الخلق متسعة وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قدر الذي احتمله افهامهم فيجب التصديق بما فهموه والاقرار بما وراء
منتهى الفهم من امور يليق بالكرم الالهي فلا يدركها الفهم البشري ولا
يدرك ذلك الا في مقعد صدق عند مليك مقتدر والله اعلم بالصواب.

واليه المرجع والمآب

تم تعليقه في شهر رجب المرجب
سنة ١٣٠٢

تفسير سورة فاتحة الكتاب للغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم

استعنت بالله كلمة الله نبأ عن الذات وقوله تعالى الرحمن
الرحيم نبأ عن صفة الصفات خاصة وخاصتها انها تستدعي
ساير الصفات من العلم والقدرة وغيرهما ثم تتعلق بالخلق وهم
المرحومون تعلقا يونسهم به ويشوقهم اليه ويرغبهم في طاعته لا كوصف
الغضب لو ذكره بدلا عن الرحمة فان ذلك يحزن ويخوف ويقبض
القلب ولا يشرحه قوله الحمد لله رب العالمين يشتمل على
شيئين احدهما اصل الحمد وهو الشكر وذلك اول الصراط المستقيم
وكانه شطره فان الايمان العملي نصفه شكر ونصفه صبر كما يعرف
حقيقة ذلك بالبحث من كتاب احيا علوم الدين لا سيما في كتاب
الشكر والصبر منه وفضل الشكر على الصبر كفضل الرحمة على الغضب فان

هذا

هذا يصدر على الارتياح وهزة الشوق وروح المحبة واما الصبر
على قضاء الله فيصدر من الخوف والرهبة ولا يخلو عن الكرب والضيق
وسلوك الصراط المستقيم الى الله تعالى بطريق المحبة واعمالها افضل كثيرا
من سلوكه بطريق الخوف وانما يعرف ذلك من كتاب المحبة منه و
لذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اول من يدعى الى الجنة الحامدون لله
عز وجل على كل حال وقوله رب العالمين اشارة الى الافعال كلها و
اضافتها اليه واوجز لفظ واتم احاطة باضافة الافعال وافضل نسبة الفعل
اليه نسبة الربوبية فان ذلك اكمل واتم في التعظيم من قولك فاعل العالمين
وخالق العالمين وقوله ثانيا الرحمن الرحيم اشارة الى الصفة
مرة اخرى ولا تظن انه مكرر فلا مكرر في القرآن اذ حد المكرر ما لا ينطوي
على مزيد فائدة وذكر الرحمة بعد ذكر العالمين وقبل ذكر مالك يوم الدين
ينطوي على فائدتين عظيمتين في تفصيل مجاري الرحمة احدهما ملتفت الى

خلق العالمين وانه خلق كل واحد منها على اكمل انواعها وافضلها واتاها كل
ما احتاج اليها فاصدا لصغر الذي خلقها عالم البهايم واصغرها البق و
الذباب والعنكبوت والنحل فانظر الى البقة كيف خلق اعضاها فقد خلق كل
عضو عليها كل عضو خلقه على الفيل حتى خلق لها خرطوما مستطيلا حاد الراس
ثم هداه الى ان علم ان غذاه دم ادمي فتراه يغرز فيه خرطومه ويمص في ذلك
التجويف غذائه وخلق له الجناح ليكون له آلة الهرب اذا قصد دفعه وانظر
الى الذباب كيف خلق اعضاه وكيف خلق حدقته مكشوفة بلا اجفان اذ لا
يحتمل راسه الصغر الاجفان والاجفان يحتاج اليها لتصقيل الحدقة لا
يلحقها من الاقذاء والغبار فانظر كيف خلق له بدلا عن الاجفان يدين
زايدتين فله سوى الارجل الاربع يدان تراهما اذا وقع على الارض يمسح حدقته
بيديه يصقلهما عن الغبار وانظر الى العنكبوت كيف خلق اطرافه وكيف
علمه حيلة الصيد بغير جناح اذ خلق له لعابا يعلق نفسه بها في زاوية يترصد

طيران الذباب بالقرب منه فيرمي اليه نفسه ويأخذه ويقيد عجزه
الممدودة من لعابه فيعجز عن الافلات حتى ياكله او يدخره وانظر الى نسج العنكبوت
لبيته كيف هداه الله تعالى على التناسب الهندسي في ترتيب السدى واللحمة
وانظر الى النحل وعجايبه الذي لا يحصى في جمع الشهد والشمع وتنبه على هندستها
في بناء بيتها فانها بنى على الشكل المسدس كيلا يضيق على رفقائها المكان
لانها تزدحم في موضع واحد على كثرة ولو بنت البيت مستديرة لبقي خارج
المستديرات فرج ضائعة فان الفرج لا تتراص وكذا ساير الاشكال واما
المربعات فتراص ولكن شكل النحل يميل الى الاستدارة فيبقى داخل البيت
زوايا ضائعة كما تبقى في المستدير خارج فرج ضايعة فلا شكل من الاشكال
يقرب من المستدير ثم يتراص سوى المسدس وذلك يعرف بالبرهان
الهندسي فانظر كيف هداه الله تعالى الى خاصية هذا الشكل وهذا انموذج
من عجايب صنع الله تعالى ولطفه ورحمته بخلقه فان الاول ينبه على الاعلى

وهذه المراتب لا يمكن ان يستقصى في اعمار طويلة اعني ما انكشف لنا الآدميين
منها وانها اليسير بالاضافة الى ما لم ينكشف واستاثر هو وملائكته بعلمه وربما
تجد لمعا من هذا الجنس في كتاب الشكر وكتاب المحبة فاطلبه ان كنت
له اهلا والا فغض بصرك عن آثار رحمة الله ولا تنظر اليها ولا تسرح في ميدان
الصنع ولا تتفرج فيه واشتغل باشعار المتنبي وغرائب نحو سيبويه وفروع
ابن الحداد ونوادر الطلاق وحيل المجادلة في الكلام فذلك ابق بك فان
قيمتك على قدر همتك ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله
يريد ان يغويكم ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل
له من بعده وهو العزيز الحكيم ولنرجع الى الغرض فالمقصود التنبيه على الموذج
من رحمته في خلق العالمين واما قوله تعالى مالك يوم الدين فيشير الى
الرحمة في المعاد يوم الجزاء عند الانعام بالملك المؤبد في مقابلة كلمة وعبادة
وشرح ذلك يطول والمقصود انه لا مكرر في القرآن فان رايت شيئا مكررا من

حيث

حيث الظاهر فانظر الى سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد الفائدة في اعادته
قوله اياك نعبد واياك نستعين يشتمل على ركنين عظيمين احدهما
العبادة مع الاخلاص بالاضافة اليه خاصة وذلك هو روح صراط المستقيم
كما تعرفه من كتاب الصدق والاخلاص وكتاب ذم الجاه والرياء من كتب
احياء علوم الدين والثاني اعتقاده انه لا يستحق العبادة سواه وهو لباب عقيدة
التوحيد وذلك بالتبري عن الحول والقوة ومعرفة ان الله تعالى متفرد بالافعال
كلها فان العبد لا يستقل بنفسه دون معونته فقوله اياك نعبد اشارة
الى تزكيتها عن الشرك والالتفات الى الحول والقوة وقد ذكرنا ان مدار
سلوك الصراط المستقيم على قسمين احدهما التزكية بنفي ما لا ينبغي والثاني التحلية
بتحصيل ما ينبغي وقد اشتمل عليهما كلمتان من جملة الفاتحة قوله
اهدنا الصراط المستقيم سؤال ودعاء هو مخ العبادة كما تعرفه في كتاب الاذكار
والدعوات من كتاب احياء علوم الدين وهو تنبيه الى حاجة الانسان الى التضرع

والابتهال الى الله تعالى وهو رفع العبودية وثنية على ان اهم حاجاته الهداية
الى الصراط المستقيم اذ به السلوك الى الله تعالى كما سبق ذكره واما قوله
صراط الذين انعمت عليهم الى اخر السورة فهو تذكر لنعمته على اوليائه وغضبه
على اعدائه لتثير الرغبة والرهبة من صميم الفؤاد وقد ذكرنا ان قصص الانبيا
والاعدا قسمان من اقسام القران عظيمان فقد اشتملت الفاتحة من الاقسام
العشرة على ثمانية اقسام الذات والصفات والافعال والصراط المستقيم
بجميع طرفيه اعني التزكية والتحلية وذكر نعم الاوليا وغضب الاعدا ولم يخرج
منها الا قسما محاجة الكفار واحكام الفقه وهما العلمان اللذان تنشعب منهما
علم الكلام وعلم الفقه وبها استبين انهما واقعان من الصنف الاخير من
مراتب علوم الدين وانما قدمهما حب المال والجاه واعلم انه لو خلق فيك شوق
الى الله تعالى وشهوة لمعرفة جلاله اصدق واقوى من شهوتك للاكل والنكاح
لكنت تؤثر جنة المعرفة ورياضها وبساتينها على الجنة التي فيها قضا الشهوات المحسوسة

واعلم

واعلم ان هذه الشهوة خلقت للعارفين وان لم يخلق لك شهوة الجاه ولم
يخلق للصبيان وانما يخلق للصبيان شهوة اللعب وانت تعجب من الصبيان
في عكوفهم على لذة اللعب وخلوهم عن لذة الرياسة فالعارف يعجب منك ومن
عكوفك على لذة الجاه والرياسة فان الدنيا بحذافيرها عند العارف لهو ولعب
ولما خلقت للعارفين هذه الشهوة كانت التذاذهم بالمعرفة بقدر شهوتهم ولا
نسبة لتلك اللذة الى لذة الشهوة الحسية فانها لذة لا يعتريها الزوال ولا يغيرها
الملال بل لا يزال تتضاعف وتترادف بزيادة المعرفة والاغراق فيها بخلاف سائر
الشهوات الا ان هذه شهوة لا تخلق في الانسان الا بعد البلوغ الى حد الرجال
ومن لم يخلق فيه فاما صبي لم تكمل فطرته لقبول هذه الشهادة او عنين افسد
كدورة الدنيا وشهواتها فطرته الاصلية فالعارفون لما رزقوا شهوة المعرفة و
لذة النظر الى جلال الله فهم من مطالعتهم جلال الحضرة الربوبية في جنة عرضها
السموات والارض بل اكبر وهي جنة قطوفها دانية فان فواكهها صفة ذاتهم

وليست مقطوعة ولا ممنوعة اذ لا مضايقة في المعارف والعارفون ينظرون
الى العاكفين في حضيض الشهوات نظر العقلاء الى الصبيان عند عكوفهم على لذة
اللعب ولذلك تراهم يتوحشون من اكثر الخلق ويؤثرون الخلوة والعزلة
والخلوة هي احب الاشياء اليهم ويهربون من المال والجاه فانه يشغلهم عن لذة المناجاة
ويعرضون عن الاهل والولد ترفعا عن الاشتغال بهم عن الله عز وجل ويرى الناس
فيضحكون منهم فيقولون في حق من يرونهم انه موسوس قد سلط عليه مبادي
الجنون وهم يضحكون على الناس لقناعتهم بمتاع الدنيا ويقولون ان تسخروا
منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون فالعارف مشغول بتهيئة
سفينة النجاة لنفسه ولغيره لعلمه بخطر المعاد فيضحك على اهل الغفلة ضحك
العاقل من الصبيان اذا اشتغلوا باللعب بالصولجان وقد اقبل على البلد سلطان
قاهر يريد ان يغير على البلد فيقتل بعضهم ويخلع على بعض والعجب منك ايها
المسكين المشغول بجاهك الحقير المنغص ومالك اليسير المشوش فانك غائب عن

النظر

النظر الى جمال الحضرة الربوبية وجلالها مع اشراقه وظهوره فانه اظهر من ان يطلب
واوضح من ان يفقد ولكن منع القلوب من الالتفات الى ذلك الجمال بعد تزكيتها
عن كدورات الدنيا الا شدة الاشراق مع ضعف الاحداق فسبحان من
اختفى عن بصائر الخلق بنوره واحتجب عنهم لشدة ظهوره تعالى وتقدس
نبهنا الله تعالى معرفة الغافلين مل نعم الوفرة والحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على محمد واله

احمد حسن الطاهري

في سنة ١٣٠٢

م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فايض الانوار وفاتح الابصار وكاشف الاسرار
ورافع الاستار والصلوة على رسوله محمد نور الانوار وسيد
الابرار وحبيب الجبار وبشير الغفار ونذير القهار وقامع الكفار
وفاضح الفجار وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين الاخيار اما
بعد فقد سالني ايها الاخ الكريم فيضك الله لطلب السعادة الكبرى
ورشحك للعروج الى الذروة العليا وكحل بنور الحقيقة بصيرتك ونقى
عما سوى الحق سريرتك ان ابث اليك اسرار الانوار الالهية مقرونا
بما يشير اليه ظواهر الايات المتلوة والاخبار المروية مثل قوله تعالى
اللّٰهُ نُورُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰوةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
ومعنى تمثيله ذلك بالمِشْكٰوةِ والزُّجَاجَةِ والمِصْبَاحِ والزيت والشجرة
مع قوله عليه السلام ان لله تعالى سبعين الف حجاب من نور وظلمة

وانه

وانه لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره ولقد ارتقيت
بسؤالك هذا مرتقى صعبا ~~تنفتح الا للعلماء~~ ينخفض دون اعاليه اعين
الناظرين وقرعت بابا مغلقا لا يفتح الا للعلماء الراسخين ثم ليس
كل سر يكشف ويفشى ولا كل حقيقة تعرض وتجلى بل صدور الاحرار قبور
الاسرار ولقد قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر بل قال
سيد المرسلين صلوات الله عليه ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا
العلماء بالله ومهما كثر اهل الاغترار وجب حفظ الاستار على وجه
الاسرار لكني اراك منشرح الصدر بالنور منزه السر عن ظلمات
الغرور فلا اشح عليك في هذا الفن بالاشارة الى لوامع ولوايح والرمز
الى حقايق ودقايق وليس الحزم في كف العلم باقل منه في بثه الى غير اهله
فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم فاقنع باشارات
مختصرة وتلويحات موجزة فان تحقيق القول فيه يستدعي تمهيد

فاذا نطقوا به لم ينكره الا اهل الغرة بالله
م

اصوله وشرح فصوله ليس يتسع الآن له وقتي وليس ينصرف اليه همي
وفكري ومفاتيح القلوب بيد الله يفتحها اذا شاء كما شاء لمن شاء
وانما الذي ينفتح في الوقت فصول ثلثة **الفصل الاول** في بيان ان النور
الحق هو الله تعالى وان اسم النور لغيره مجاز محض لا حقيقة له وبيانه ان تعرف
معنى النور بالوضع الاول عند العوام ثم بالوضع الثاني عند الخواص ثم بالوضع
الثالث عند خواص الخواص ثم تعرف درجات الانوار المذكورة المنسوبة
الى خواص الخواص وحقايقها لينكشف لك عند ظهور درجاتها ان الله تعالى
هو النور الاعلى الاقصى وعند انكشاف حقايقها انه هو النور الحق الحقيقي
وحده لا شريك له فيه اما الوضع الاول العامي فالنور يشير الى الظهور والظهور
امر اضافي اذ يظهر الشيء للانسان لا محالة ويبطن عن غيره فيكون ظاهرا
بالاضافة واضافة ظهوره الى الادراكات لا محالة واقوى الادراكات
واجلاها عند العوام الحواس ومنها حاسة البصر والاشيا بالاضافة

الى

الى الحواس البصري ثلثة اقسام منها ما لا يبصر بنفسه كالاجسام المظلمة
ومنها ما يبصر بنفسه ولا يبصر به غيره كالاجسام المضيئة مثل الكواكب وجمر
النار اذا لم يكن مشتعلة ومنها ما يبصر بنفسه ويبصر به ايضا غيره كالشمس
والقمر والسراج والنيران المشتعلة والنور اسم لهذا القسم الثالث ثم تارة
يطلق على ما يفيض من اجسام المشرقة على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال
استنارت الارض ووقع نور الشمس على الارض ونور السراج على الحائط
والثوب وتارة يطلق على نفس هذه الاجسام المشرقة لانها ايضا في
انفسها مستنيرة وعلى الجملة فالنور عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر به
غيره كالشمس فهذا حده وحقيقته بالوضع الاول **دقيقة** لما كان
سر النور وروحه هو الظهور للادراك وكان الادراك موقوفا
على وجود النور وعلى وجود العين الباصرة ايضا اذ النور هو الظاهر
المظهر وليس شيئا من الانوار ظاهرا في حق العميان ولا مظهرا له فقد

ساوى الروح الباصرة النور الظاهر في كونه ركنا لا بد منه للادراك ثم
يترجح عليه في ان الروح الباصرة هي المدركة وبها الادراك واما النور فليس
بمدرك ولا بها الادراك بل عندها الادراك فانه مدرك ومدرك
به لا مدرك فهو مفعول لا فاعل فكان اسم النور بالنور الباصرة اولى واحق
منه بالنور المبصرة فاطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا في
الخفاش ان نور عينه ضعيف وفي الاعمش انه ضعف نور بصره وفي
الاعمى انه فقد نور البصر وفي السواد انه يجمع نور البصر ويقويه وان الاجفان
انما خصها الحكمة الالهية بلون السواد وجعل العين محفوفة بها ليجمع ضوء
العين واما البياض فيفرق ضوء العين ويضعف نوره حتى اذا دام
النظر الى البياض المشرق بل الى نور الشمس بهر نور العين ويمحقه كما يمحق
الضعيف في جنب القوي فقد عرفت بهذا ان الروح الباصرة سمي
نورا وانه لم يسمى نورا وانه لم كان اولى بهذا الاسم وهو بوضع الثاني
هو وضع

و

وهو وضع الخواص **حقيقة** اعلم ان نور العين موسوم بانواع
من النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا
يبصر ما وراء حجاب ويبصر من الاشياء ظاهرها دون باطنها ويبصر
من الموجودات بعضها دون كلها ويبصر اشياء متناهية ولا يبصر ما لا
نهاية له ويغلط كثيرا في ابصاره فيرى الكبير صغيرا والبعيد قريبا والساكن
متحركا والمتحرك ساكنا فهذه سبع نقايص لا تفارق العين الظاهرة فان
كان في الاعين عين منزهة عن هذه النقايص كلها فليت شعري هل هو
اولى باسم النور ام لا واعلم ان في قلب الانسان عينا هذه صفة كمالها وهي
التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانسانية ودع
عنك العبارات فانها اذا كثرت اوهمت عند الضعيف البصيرة كثرة
المعاني فنعني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن البهيمة

وعن المجنون ولنسمه عقلا متابعة للجمهور في الاصطلاح فيقول العقل
اولى ان يسمى نورا من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقايص السبع
اما الاول فهو ان العين لا تبصر نفسه والعقل يدرك غيره ويدرك
صفات نفسه اذ يدرك نفسه عالما وقادرا ويدرك علم نفسه ويدرك
علمه بعلم نفسه وعلمه بعلمه لعلم نفسه الى غير نهاية وهذه خاصية لا تتصور
لما لا يدرك بالة الاجسام ووراءه سر يطول شرحه والثاني ان العين
لا تبصر ما بعد منها ولا ما قرب منها قربا مفرطا والعقل يستوى عنده
القريب والبعيد بل يعرج في طرفة عين الى اعلى السموات رقيا وينزل
في لحظة الى تخوم الارضين هو باطلا اذا حققت الحقايق انكشف انه
منزه عن ان يحوم بجناب قدسه معاني القرب والبعد الذي يعرض
بين الاجسام فانه انموذج من نور الله تعالى ولا يخلو الانموذج عن محاكاة
وان كان لا يرتقي الى ذروة المساواة وهذه ربما انهزك التفطن لسر

قوله

قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى خلق آدم على صورته قلت
الآن لا نخوض في بيانه الثالث ان العين لا يدرك ما وراء الحجاب
والعقل يتصرف في العرش والكرسي وما وراء حجب السموات وفي الملاء
الاعلى والملكوت الاسمى كتصرفه في عالمه الخاص ومملكته القريبة اعنى بدنه
الخاص بل الحقايق كلها لا يحتجب عن العقل وانما حجاب العقل حيث
يحتجب عن نفسه عند تغميض الاجفان وستعرف هذا في الفصل
الثالث من الكتاب الرابع ان العين يدرك من الاشياء ظاهرها و
سطحها الاعلى دون باطنها بل قوالبها وصورها دون حقايقها والعقل
يتغلغل الى بواطن الاشياء واسرارها ويدرك حقايقها وارواحها ويدرك
ويستنبط عللها وسببها وغايتها وحكمتها وانها مم خلق وكيف خلق ولم
خلق ومن كم معنى جمع وركب وعلى اى مرتبة في الوجود نزل وما نسبته
الى خالقه وما نسبته الى ساير مخلوقاته الى مباحث اخرى يطول شرحها

نرى الايجاز فيها اولى واحرى الخامس ان العين تبصر بعض الموجودات
وتقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من المحسوسات اذ لا تدرك الاصوات
والريح والطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة اعنى قوة السمع والبصر
والشم والذوق بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والسرور والغم
والحزن والالم واللذة والعشق والشهوة والقدرة والارادة والعلم
الى غير ذلك من الموجودات لا يحصى ولا يعد فهو ضيق المجال مختصر
المجرى لا تسعه مجاوزة عالم الالوان والاشكال وهما اخس الموجودات
فان الاجسام في اصلها اخس اقسام الموجودات والالوان والاشكال
من اخس اعراضها والموجودات كلها مجال العقل اذ يدرك هذه الموجودات
التي اعددناها وما لم نعدها وهو الاكثر فيتصرف في جميعها ويحكم عليها
حكما يقينا صادقا فالاسرار الباطنة عنده ظاهرة والمعاني الخفية عنده
جلية فمن اين للعين الظاهرة مساواته ومجاراته في استحقاق اسم

النور

النور كلا انه نور بالاضافة الى غيرها لكنه ظلمة بالاضافة اليه بل هو جاسوس
من جواسيسه وكل باخس خزائنه وهو خزانة الالوان والاشكال ليرفع
الى حضرته اخبارها فيقضي فيها بما تقتضيه رايه الثاقب وحكمه
النافذ والحواس الخمس جواسيسه وله في الباطن جواسيس سواها
من خيال ووهم وفكر وذكر وحفظ وورائها خدم وجنود مسخرة له في
عالمه الخاص يستسخرهم ويتصرف فيهم استسخار الملوك عبيدهم بل اشد
وشرح ذلك يطول فقد ذكرناه في كتاب عجايب القلب من كتاب الاحياء
السادس ان العين لا تبصر ما لا نهاية له فانها تبصر صفات الاجسام
والاجسام لا تتصور الا متناهية والعقل يدرك المعلومات و
المعلومات لا يتصور ان يكون متناهية نعم اذا لاحظ من العلوم
المفصلة فلا يكون الحاضر الحاصل عنده الا متناهيا لكن في قوته ادراك
ما لا نهاية له وشرح ذلك يطول وان اردت له مثالا فخذ من

الجليات فانه يدرك الاعداد ولا نهاية لها بل يدرك تضعيفات
الاثنين والثلثة وساير الاعداد ولا يتصور لها نهاية ويدرك انواعا
من النسب بين الاعداد لا يتصور التناهي عليها بل يدرك علمه بالشي
وعلمه بعلمه بالشي وعلمه بعلمه بعلمه بالشي فقوته ايضا في هذا الواحد ايضا لا تقف عند
نهاية السابع ان العين تبصر الكبير صغيرا ويرى الشمس في مقدار مجن والكواكب
في صورة دنانير منثورة على بساط ازرق والعقل يدرك ان الكوكب والشمس
اكبر من الارض باضعاف مضاعفة والعين ترى الكواكب ساكنة بل الظل
بين يديه ساكنا وترى الصبي ساكنا في مقداره والعقل يدرك ان الصبي متحرك
في النشو والتزايد على الدوام والظل يتحرك دايما والكوكب متحرك في كل لحظة
اميالا كثيرة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم لجبرئيل عليه السلام ازالت الشمس فقال لا نعم
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف هذا قال عليه السلام منذ قلت لا الى
ان قلت نعم قد تحركت مسيرة خمسمائة سنة وانواع غلط البصر كثيرة والعقل

منزه

منزه عنه فان قلت نرى العقلاء يغلطون في نظرهم فاعلم ان فيهم
خيالات واوهام واعتقادات يظنون احكامها احكام العقل
فالغلط منسوب اليها وقد شرحنا مجامعها في كتاب معيار العلم وكتاب
محك النظر واما العقل اذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور
ان تغلط بل يرى الاشيا على ما هي عليه وفي تجريده عسر عظيم وانما تكمل تجرده
عن هذه النوازع بعد الموت وعند ذلك ينكشف الغطا وتنجلي الاسرار
ويصادف كل احد ما قدمه من شر او خير محضرا ويشاهد كتابا لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصيها وعنده يقال له فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد وانما الغطا غطا الخيال والوهم وغيرهما وعنده
يقول المغرور باوهامه الباطلة واعتقاداته الفاسدة وخيالاته العاطلة
ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فقد عرفت
بهذا ان العين [العقل] اولى باسم النور من العين بل بينهما من التفاوت ما

يقبح معه ان يقال انه اولى بل الحق انه المستحق بهذا الاسم دونه **دقيقه**

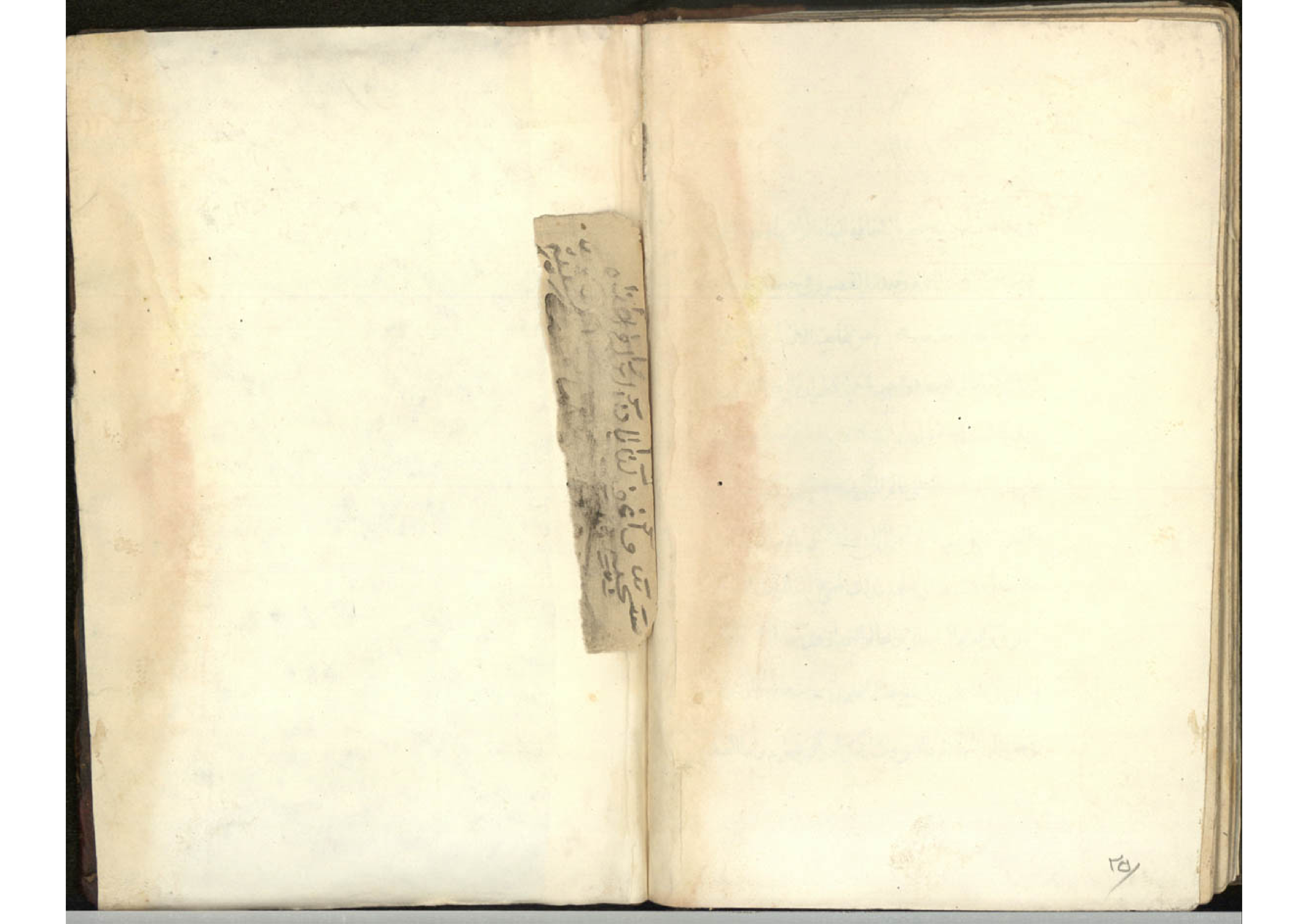
اعلم ان العقول وان كانت مبصرة فليست المبصرات كلها عندها على
وتيرة واحدة بل بعضها عندها يكون كانها حاضرة كالعلوم الضرورية مثل
علمه بان الشئ الواحد لا يكون قديما وحادثا ولا يكون موجودا
ومعدوما والقول الواحد لا يكون صدقا وكذبا وان الحكم اذا ثبت
لشئ جوازه ثبت لمثله ضرورة وان الاخص اذا كان موجودا كان الاعم
واجب الوجود واذا وجد السواد فقد وجد اللون واذا وجد الانسان
فقد وجد الحيوان فاما عكسه فلا يلزم في العقل اذ لا يلزم من وجود اللون
وجود السواد ولا من وجود الحيوان وجود الانسان الى غير ذلك من القضايا
الضرورية في الواجبات والجائزات والمستحيلات ومنها لا يقارن
العقل في كل حال اذا عرض عليه بل يحتاج الى ان يهز اعطافه ويستوري
زناده وينبه عليه بالتنبيه كالنظريات والاساس بكلام وانما ينبهه كلام الحكمة

فعند

فعند اشراق نور الحكمة يصير العقل مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة
واعظم الحكم كلام الله تعالى ومن جملة كلامه القرآن خاصة فيكون منزلة
آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند عين الظاهر اذ به يتم
الابصار فالحري ان يسمى القرآن نورا كما يسمى نور الشمس نورا فمثال القرآن
نور الشمس ومثال العقل نور العين وبهذا يفهم معنى قوله تعالى آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وقوله قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا
مُّبِينًا **تكملة هذه الدقيقة** فقد فهمت من هذا ان العين عينان
ظاهرة وباطنة الظاهرة من عالم الحس والشهادة والباطنة من عالم آخر
وهو عالم الملكوت ولكل عين من العينين شمس ونور عنده يصير كامل الابصار
احدهما ظاهرة والاخرى باطنة والظاهرة من عالم الشهادة وهي الشمس المحسوسة
والباطنة من عالم الملكوت وهو القرآن وكتب الله المنزلة ومهما انكشف
لك هذا انكشافا تاما فقد انفتح لك اول باب من ابواب الملكوت



وفي هذا العالم عجايب يستحقر بالاضافة اليها عالم الشهادة ومن
لم يسافر الى هذا العالم وقعدت به القصور في حضيض عالم
الشهادة فهو بهيمة بعد محروم عن خاصية الانسانية بل اضل
من البهيمة اذ لم تصعد البهيمة باجنحة الطيران الى هذا العالم و
لذلك قال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل واعلم ان
عالم الشهادة بالاضافة الى عالم الملكوت كالقشر بالاضافة الى اللب
وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة بالاضافة الى النور
وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك تسمى عالم الملكوت العالم
العلوي والعالم الروحاني والعالم النوراني وفي مقابلته السفلي الجسماني
والظلماني ولا تظن انا نعني بالعالم العلوي السموات فانها علو وفوق
في حق عالم الشهادة والحس ويشاركه في ادراكه البهائم واما العبد


٢٥